لندع الأشياء تفكر بدلا من أن نفكر بها:

الفنانون الجدد صيادو معان تنطق بلغة حضارة غائبة

فاروق يوسف*

داميان هيرست (القدس العربي)

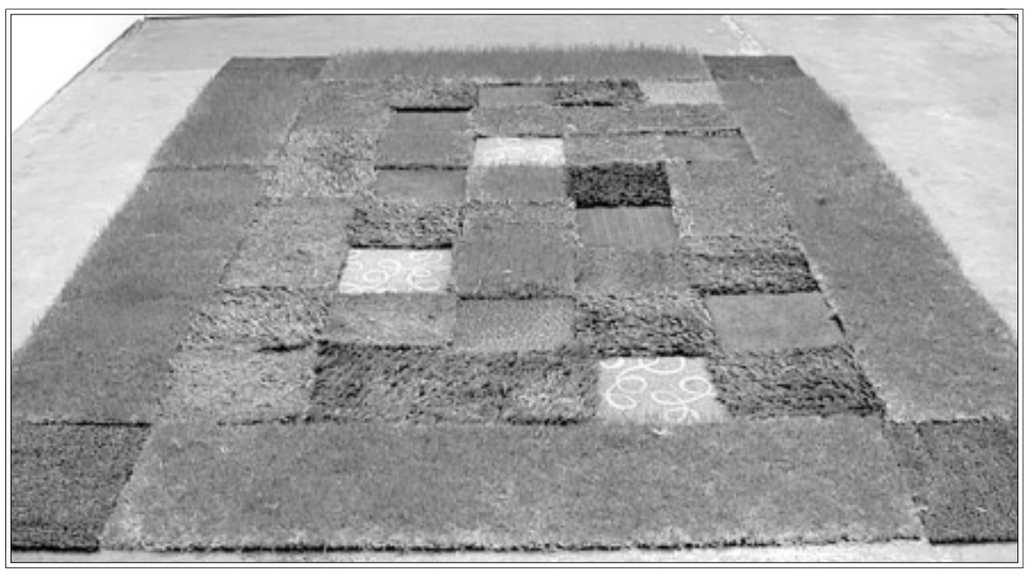

من اعمال اليزابيث داي (القدس العربي)

[1]

■ لا يحرص الفنان البريطاني داميان هيرست (ولد عام 1965) على أن يكون نحاتا دائما، بالرغم من أن منحوتاته تحظى برعاية ثقافية مميزة، وبالمقابل فان رسومه لا تقدمه رساما، ذلك لانه غالبا ما يصنع لوحاته بمواد يجلبها من خارج الرسم. اهتمامه المبهم بعالم الطب جعله ينشيء صيدليات كاملة ليعرضها بصفتها اعمالا فنية. يوم رأيت واحدة منها في باريس لم تستوقفني على الاطلاق، لذلك لا يمكنني أن أتذكرها إلا من خلال الصور. داميان هذا لا أسلوب له (وهل هناك شيء أسمه الاسلوب في الفن الجديد؟). شيء هو أشبه بالمعجزة الشخصية تم القضاء عليه، بقوة الالهام الثقافي. هناك قدر أعظم هو ما يجب أن يواجهه الفن: قدره في أن يكون موجودا في هذه اللحظة بالذات. وهي لحظة تمتاز بالجمال عوالم كثيرة، لن يكون بالضرورة لغتها: السياسة والاقتصاد والبيئة والامراض والمشكلات الاجتماعية والدين والاخلاق والحروب. وسط كل هذا الضجيج لا يبدو أن هنالك متسع لفن يؤسس لحيز جمالي مستقل. لم يعد في امكان الشكل أن يكون ذريعة لقول شيء ما، بل أن القول في حد ذاته لم يعد ليثير أي اهتمام في مقابل ما يمكن أن تفصح عنه الأشياء. وهي فكرة تحرر هيرست من ضرورة أن يكون موجودا لحظة النظر، تحرره من بداهة أن يكون شاهدا منفعلا. في واحدة من أشهر صوره يمد لسانه الى العالم في لحظة غضب جحيمي، في حين يظهر في صورة أخرى أعمى. انه يجد شأنه في كل الأحوال. أعماله التي هي مزيج من النحت والتصوير والانشاءات والرسم والتقاط الاشياء الجاهزة لا تلتفت الى العالم المباشر إلا بصفته الموقع الذي يستضيف الكارثة. هيرست هو ابن هذا العالم الذي لم يعد يقوى على قول شيء، المه يتقدمه ويقدمه.

[2]

غرير لانكتون (1958ـ1996) فنانة امريكية، ولدت ذكرا ثم تحولت بعد العشرين من عمرها الى انثى بعد اجراء عملية جراحية.

وهي نحاتة دمى وفنانة انشاءات. أسلوبها الانتهاكي في الفن كثير الشبه بحياتها المرتجلة، (هل كانت تلك الحياة المعذبة تستحق أن تعاش؟). بطريقة أو بأخرى كان لديها ما تقوله عن محنتها في الخلق. وهي محنة تمزج الطفولي المستحضر متأخرا بالنسوي الغامض والحاضر على هيأة احتفائية متمردة ومتلفتة. لا تذكر غرير في تاريخ الفن مقرونة بأعمالها العبثية بقدر ما يذكرها ذلك التاريخ بصفتها مادة لالهام المصورة الامريكية نان غولدن. لقد صورتها غولدن في أوضاع مختلفة. وكعادتها فان غولدن لم تظهر غرير اسطورة وحدثا رائعا لا يتكرر، بل ظهرت غرير بصفتها واقعة يومية يمكن عبورها ونسيانها. هذا عن صور غولدن، ولكن ماذا عن أعمال لانكتون نفسها؟ كل عمل من تلك الاعمال كان بمثابة احتفاء بجمال مضاد، جمال لا يفخر بتفوقه على القبح، بل هو والقبح شيء واحد.

وهنا تطرح الفنانة غايتها التي هي جزء مهم من فكر ما بعد الحداثة: نهاية الثنائيات أو تداخلها حسب نيتشه. ليس هناك جمال مطلق وليس هناك قبح مطلق. خبرة الفنانة في العيش المزدوج هي ميزانها في النظر الى حياة، هي والمحنة صنوان. ولكن، ليست هناك دمية من تلك الدمى التي اخترعتها مخيلة غرير يمكن اعتبارها دمية جميلة بقياس الفتيات في كل العصور. كانت غرير متشبثة باختلافها الصريح. فهي ليست كالفتيات اللواتي انتمت اليهن متأخرة وليست كالفتيان الذين كانت تنتمي الى صنفهم عشرين سنة. كانت وبقيت أخرى. مرآة لما تكن عليه دائما.

[3]

لا تخفي ماجدة نصر الدين (لبنانية مقيمة في الامارات) الأشياء، بقدر ما تستنجد بغموض تلك الاشياء لكي تخفيها عن العين المباشرة. فحين لا نرى شيئا يكون في امكاننا أن نرى كل شيء. حين رايت لوحاتها تذكرت الفرنسي مارك آش، غير أنني فيما بعد شعرت بان ما تفعله نصر الدين هو النقيض تماما لما نراه في لوحات آش. فماجدة تخفي العالم المرئي كله ولا تتدود الى رموز بعينها من ذلك العالم كما يفعل آش.

ولان السطح التصويري ليس ضالتها فهي تعمد الى اظهار اشكال عبثية، هي جزء من سطوح منسية، ربما تكون تلك الأشكال صورة عن لاوعي الرسم. يشعر المرء ازاء رسومها كما لو أنه يتعرض للهدم، هناك الة تحذف من ذاكرته كل ما يرغب في أن يكون موجودا. صلة هذه الفنانة بالاشياء تنبئ بطريقة أخرى للبناء. وهي طريقة لا تخفي امعانها في الانثوية الكامنة، حيث يتم أسر المكنات في حلم مفارق. لا ترى ماجدة نصر الدين في الرسم إلا نوعا من تجسيد ذلك التفوق الانثوي في التعرف على الغموض، بصفته تعريفا لنوع من الرؤيا المختلفة. وهي رؤيا لا تخترعها الرسامة بقدر ما تسعى الى أن تقودنا الى الدروب التي تؤدي اليها. تنتهي نصر الدين بنا الى عالم لا يزال يتشكل بحيوية.

[4]

تبدو منضدة الاسترالية اليزابيث داي العامرة بالأشياء اليومية كما لو أنها جزء من سوق لبيع الاشياء المستعملة. يمكنك أن تحمل منها ما تشاء وفي المقابل يمكنك أيضا أن تترك عليها ما تشاء. لقد وضعت الاشياء على تلك المنضدة بطريقة متانقة ورتيبة، غير أن اختيارها يفصح عن عشوائية المقصودة. لم تفعل الفنانة شيئا سوى التقاط تلك الأشياء ووضعها على منضدة. من يؤكد ان ما قدمته داي هو عمل فني؟ لا شيء سوى وجوده في قاعة للعروض الفنية. ولكن اعتراف تلك القاعة كفيل باقناعنا؟ اعتقد ان توسيع حدود المزحة التي اطلقها الفرنسي دوشان بلجوئه الى عرض اشياء جاهزة كالمبولة وحاملة القناني هو في حقيقته محاولة لتعرية الفن من فكرة الجمال الغامضة، وهي فكرة مجلوبة من خارج الفن. غير أن الفنانة في مكان آخر تعرض عملا يكمن الهامه في أعمال كارل اندريا. لا لانها مثل اندريا اختارت أن تعرض ذلك العمل على الارض، بل لانها لجأت الى الروح التقليلية عينها التي تتسم بها اشكال اندريا. فرشت داي على ارض القاعة سجادة من العشب، هي عبارة عن مجموعة متلاصقة من المربعات التي لونتها الفنانة لتوحي بتلاصق فصول السنة لتهبنا فكرة عن الوقت، لا تخفي رمزيتها. لقد انتجت داي عملا تقليلا، غير أنه يضج بتعبيريته المكثفة. وما بين منضدتها وحديقتها هناك مسافة ليس من اليسير قطعها. هي المسافة ذاتها بين فن يطردنا وآخر يغرينا بالاقبال عليه. في المسافة تلك تكمن واحدة من أكثر مشكلات الفن الجديد احتقانا وحيرة.

[5]

بالنسبة للفنانين الجدد فان كل شيء هو واقعة ميتافيزيقية. هناك محاولة لاستطاق نوعا من العمى حيث الاشياء موجودة لا لتعين على التذكر بل لتيسر النسيان. سطوح ماجدة نصر الدين هي طبقات من الاصباغ، تضعها الفنانة لتواجهنا بمفهوم التراكم. والفنانة في سلوكها هذا انما تتابع مسيرة ذلك الاسلوب الغامض الذي اتبعه كثير من الرسامين منذ الفرنسي فوترييه الى العراقي شاكر حسن ال سعيد في ازاحة مفهوم السطح عن سياقه البصري. هل صارت اللذة البصرية تعنى بتخطي مشكلات النظر المباشر والوصول الى الشيء عن طريق التمعن في معانيه من غير الاهتمام بتأثيراته الحسية، حتى وأن كان موجودا بطريقة مباشرة؟ الشيء هو فكرته، ولكن ماذا عن فكرتنا عنه؟ «لا بأس لندع الأشياء تفكر بدلا من أن نفكر بها».

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

ماجدة نصر الدين (القدس العربي)

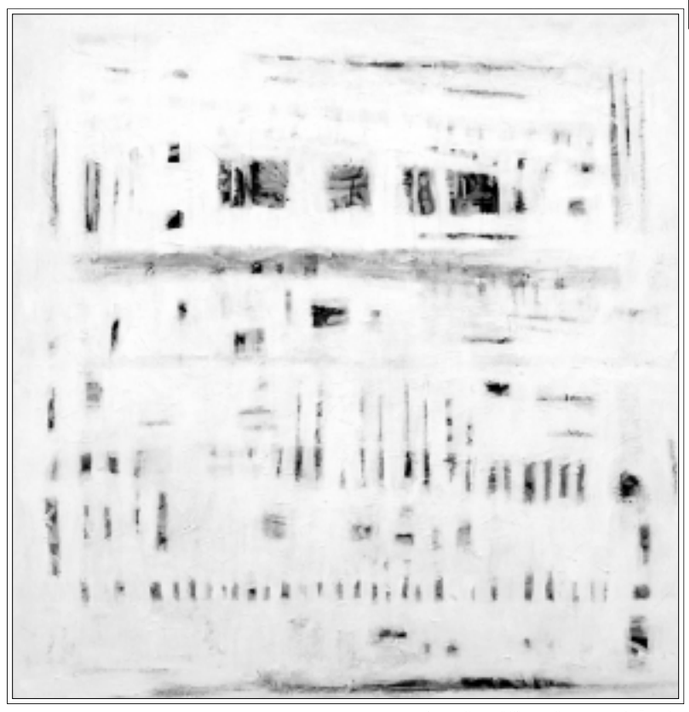

لوحة لماجدة نصر الدين (القدس العربي)

تداعيات

عود على بدء!

عبد الله حرمة الله*

«الهجرة حق مقدس»

جيل دولوز

هكذا صدح الفيلسوف الفرنسي، قبل أن يرمي بجسده، من شرفة رحبة على رصيف مهجور بالدائرة السابعة عشرة، من مدينة الأنوار.

كان جيل، مهاجرا، على بساط الفكر البشري، قرويا في أودية الديالكتيك المنطقي، ومن ناحية اكسيسوارية، فرنسيا.

من فكرته «المقدسة»، نهل اليسار، بمختلف فصائله، محيلا «الغرابة»، ثراء مرجعيا، لكل من لفظته تجاعيد جغرافية الاستبداد.لكن فرنسا، اليوم، بعد أن هجرتها «نخوة» الذكاء، تبدو، مهتمة أكثر بتهور ابن الهنغارية، الذي يطمح لقيادتها، دون أن يكلف نفسه عناء الفهم الحقيقي لـ«معجزات» هذه الأرض، ومعالم اغرائها الدافقة.

يريد لشعب، اعتنق قيما سطرت على حد سيف 1789، أن يقتصر على جباية «تمنح» الأجساد الحق في الحصول على شبر من أرضها الواسعة.يبدو أن وصول أبويه خطأ الى أرض روسو، لم يتجاوز حدود متعة المعدة، القادمة من أرض الجلمود الباهت..

***

بعلبة سجائر وديوان المتنبي استعنت على هجرتي نحو الشمال قبل عقد من الزمن.

ساعتها لم أتصور أن جزءا من ذاكرتي قد بقي ها هنا؛ ولا أن أمي ومعلمي وبعض أصدقائي، وهيبة وطن جدتي قد يختارون الغرق بدل ركوب الطوفان.

كان حلم الحرية وحده اللغة التي يصغي اليها غروري المعرفي! على عجل مكثت بمنفاي؛ حرا كالتمثيل الفلسطيني بمجلس الأمن، رائقا كالآثار الفرعونية باللوثر، مجهولا كالجنود السود الذين حرروا العالم «الحر».

المهم؛ أني عشت، فأحببت ثم أنجبت.. فجأة في عتمة منفاي؛ متزحلقا على جبال الألب، علمت بأن من كان السبب في نفي المتنبي وجزءا من جسدي قد زال. من الثلج المتناثر كفرحة ابنتي كلما شرعت في حصة الرسم الأسبوعية مع بابا، أقبلت على الضحك الصامت. فهمت مرة أخرى أني سأعود حيث بدأت.. قلقا رفقة دمية ابنتي وديوان صديق جديد أتأبطه خلف جوازي المفقود!

لكني «أهملت» مكرها تفاصيل وصل من طفرته تشكل جزء ذاكرتي الذي غاب عن رحلتي المغمورة!

معتذرا بعد أربعة أشهر، أقول لأخي بعد أن احتقنت صداقته: فليحفظك ربنا الذي في السماء، ولترعاك روحي في كل مكان، فالغائب كما كانت تقول جدتي: «حجته معه»، ولأني أمامك تتهاوى كل حججي، دعني أسرد عليك فصول غيبتي علها تشفع لمن غاب واعتذر.

***

عزيزي أمجد، باسمك سألت معشوقنا الأول عن رحلته السيزيفية في أرض الملثمين:

هل للشعر أن يهدأ؟

قصدتك حافيا بصدر ما احتضن!

بحق العيس؛ دع لنا منك قدما.

فيافيك أحيت العدم وربيعك ما زال ينتظر.

هل بجمالك فقدت النظر؟

روعتك أهدت اليائسين سقرا مرتجلا.

أيها الشعر: هل أنت شاعر بما تشعر؟

أم أنك عصي؛ تأتي النبل لهواة السقم؟

تصورتك لوحة اكتسحتها مثلثات رمادية

ومربعات بنية! تبدو قد أخذت شكل المربع.

***

عزيزي أمجد،

عن وطني فتشت في ثنايا القطيعة:

عنه سألت الرمال؛ والشمس البازغة من غمام الغبار

توسلت هيكل الشرطي المتربص لصر رماده

جادلت الناظم الغارق في احتساء غسيل المعلقات

طاحنت الملتحي الخارج من قمقمه دون كسره.

راقبت الفتاة الطائفة بكعبة أفخاذ الدجاج.

أمعنت المراهق المرابط بنهم طموح أمام قاعات الأعراس

في أحيائه فتشت عن طعم الصبى ورائحة الطيش

عن أحلام التغيير وعن عترة الرافضين

عن الشعر، عن الحياة، عن شيء من أشياء شلتي الثمينة.

سرت وحدي وتأملت من حولي فاذا بالقطيع:

استعاد الترحال على متن صفائح تقطر صدءا

واصلت السير وطفقت أتغنى رأفة بروحي.

***

حلمت جدتي، بأن فاطمة، ابنتها الوحيدة؛ ستلد بعد الحمل خالدا، وتحمل لتلد حمزة؟ أمي، فزعت بحلم لاله؛ فلم تشأ تصديقه، لأنها منذ أربع سنوات، قررت مع أبي الاقلاع عن الانجاب! فجأة بدت المضغة؛ تلحق العلقة، بكل فرح، استعد الجميع لزائر، حضر على غير موعد! ليلحق بالوجود، نفس اليوم، من نفس الشهر، الذي ولدت فيه؛ وأبي يحضر البكالوريا.

قررت أمي، اعياءا، أن تسميه خالد وحمزة! كان الوحيد الذي قدس جسده، لم يضرب أبدا، ولم يرغم. دلع لأنه، الأخير، الذي أرضعت آخر جرعات الحنان، وحلفت باسمه، بدل والدها، الذي لم تر أبدا!

لقد كان، رطبها، وحليبها، حضنها، وعسلها الجارف، الذي في سبيله، تجرعت مخاضا ثنائيا؛ ربما سهل القضية؟

المهم، يا عزيزي، أن أم حمزة، رحلت ـ ربما قلقة ـ على مستقبله؟ لها أقول: حمزتك الخالد، انتزع، وبكل شجاعة، بعيدا عن كل أترابه، البكالوريا، لتتعالى الزغاريد، حاملة فوق الرؤوس، بطلك الجديد، الذي أصبح يتقن العربية بعد الفرنسية، ينطق الألمانية، ويتغزل بالانكليزية، بالاسبانية يتسوق، وبالحسانية؛ يحبك، بكل اعتزاز.

أتصورك قلقة عليه! لا داعي: لقد طالت قامته، واتسع جبينه؛ فمنك ورث جمال و اغراء العينين، وأناقة اليدين، فصاحة اللسان، وتفاصيل أخرى....

***

بما أن رحيلي، لم يكن اختياريا، خلافا لعودتي، فقد شرعت في تتبع آثار من كان السبب، عل الحكومات الموريتانية المستقبلية، تفهم ضرورة ايجاد حل لأسراب المختلين عقليا، المختلطين ببقية المواطنين من أناس عاديين!

وبعد أحاديث مطولة مع أجيال عدة، تمكنت من تدقيق شذرات من البدايات الأولى لولد الطائع، ليطمئن من غلط في حقهم على أن الرجل لم يكن أبدا عاديا:

في احدى ليالي الشتاء الباردة بمدينة روصو المطلة على نهر السنغال، الفاصل بين موريتانيا وجارتها الجنوبية، كانت توجد احدى أقدم المدارس الاستعمارية، والتي آوت الطلاب القادمين من باقي مناطق البلاد، حيث توفر لهم الاقامة والتعليم المجاني.

مباشرة بعد تناول العشاء، لجأ الأطفال الى غرفة النوم الجماعية، حيث أخذ كل موقعه في سريره.. لتدخل القاعة في سكينة الظلام؛ الذي ما لبث أن قطعه صوت مبحوح تعود تقليد مواء قط جائع! لكن المقتصد الذي صمم على كشف من يختبئ خلف هذه الألفة الرتيبة، أشعل الضوء و «القط» في المنعطف الأخير من دورة المواء الثانية! ليسحبه بأذنه اليسرى نحو مكتبه.

وبعد أن أقعده مطمئنا سأله بلباقته المعهودة: هل من حساب بينك والقطط؟

وما الغرض من اشهاد زملائك في هذا الوقت بالذات؟ رد التلميذ الصامت منذ بداية الدرس: كنت أريد التأكد من قدرتي على امتلاك النبرة المغردة للقط!

كبر الطفل الذي كان «ضعيف الجسم والعقل» حسب ما نقل عن مدرسه الأول، ليلتحق بالجيش بعد أن حصل على البكالوريا بترتيب تفوقه من أصبح لاحقا أول طبيب نفسي بالبلد، ليتفوق هو بدوره على الأخير من اللائحة، والذي أصبح فيما بعد أحد معاونيه...

في بداية السبعينات، كان الطفل الذي أصبح ضابطا، في طريق العودة الى منزل أصهاره مرتديا بزته العسكرية، فاذا بشلة من المراهقين فرغت للتو من متابعة فلمها الهندي الأول.. تبعه المراهقون بتقليد منضبط للمشية العسكرية، ليتوقف محتشما بعد أن استل ورقة نقدية من جيبه الخلفي وسلمها لأطولهم قامة دون أي اشارة الى تقاسمها...

* كاتب من موريتانيا

الكاتب وجمهوره

بشير مفتي*

■ يذهب الكاتب إلى جمهوره ليلتقي بمن يعتقد أنهم سيستمعون له بعناية، أو من يفترض أنهم جاؤوا ليستمعوا له بعناية، يفترض ذلك فقط، لأنه منذ بدأ ينشر كتبه الأدبية يعرف أن جمهور الأدب قليل أو نادر، وأنه في غالب اللقاءات لا يأتي فحسب من يريد أن يتعرف فقط على هذا الكاتب وكتاباته، أو أنه قرأله في يوم من الأيام نصا من النصوص فأعجب به، أولم يعجبه، وحينها تكون فرصة ملائمة لتصفية الحساب مع هذا الكاتب.

ولكن الجمهور يأتي لأسباب متعددة وكثيرة، أحيانا ليزجي وقت فراغه، ذلك أن هناك العشرات من البطالين الذين يبحثون عن مناسبات كهذه لكي لا يضيع وقتهم سدى، ومرات (نعم يجب أن تصدقوا الكاتب عندما يظن ذلك) فقط لأن الأمطار تتساقط بغزارة، خاصة إذا كنا في فصل الشتاء، مثلما هو الحال في هذه الفترة الزمنية المحددة، وأن هناك من لا يجد أين يختبئ، وفجأة يقرأ إعلانا عن ندوة مع كاتب ما، هو لا يعرفه، ولم يسمع به من قبل، فيدخل، قائلا في نفسه هاهي فرصة لأحتمي من المطر، ولأشغل بالي بأشياء أخرى. وهناك جمهور آخر، من نوع خاص يحضر لأن مهنته تقتضي ذلك، هؤلاء هم الصحافيون الذين يريدون ملء ركن في زاوية من صفحة ثقافية يشعرون بأنها غير مهمة بالنسبة لمدراء الجرائد، ولكنهم يعملون فيها، وهم يفعلون ذلك، بغض النظر إن كان هذا الكاتب اسما لامعا أو غير لامع، مهما أو غير مهم، موهبة حقيقية، أو أفاقا تمكن من خلق اسم خيالي في ساحة ثقافية لم تعد تملك القدرة على التمييز بين ما هو صالح، وبين ما هو طالح، فالكل في شكارة واحدة، وبالتالي يحضر الصحافيون، وعادة ما يفترض الكاتب أنهم يأتون من تلك الجرائد ذات السحب الضعيف، لأن صحافيي الجرائد السمينة الكرش يعلمون أين يجب أن يذهبوا، ومن يجب أن يغطوا، ويدركون أهمية الاسم وغير ذلك، فإذا كان هذا الكاتب مديرا ومسؤولا كبيرا فهم يهرعون هرعا، ويلهثون لهثا حتى يكونوا قبل موعد اللقاء أو المحاضرة، ذلك أن لقاء ذلك الكاتب المدير سيكون له فائدة جمة على مستقبلهم المهني، وعلى أشياء أخرى يمنون أنفسهم بها في السر والعلن، ويجلس الجميع منتبهين، ويفرح الكاتب أيضا لأن جمهوره الذي حضر تجاوز أصابع اليد، وهو يقر بداخله، أن وجود صحافيين من الإذاعة والتلفزيون ربما يكون مفيدا لصورته، أما الصحافة المكتوبة فهو لن يتحكم في تقييمها له، وكيف ستسرد لقاءه هذا مع جمهوره العزيز، وتتطاحن بداخل الكاتب أسئلة كثيرة، هم لا يتوقعونها منه، أو لا يفترضون أن الكاتب مرتاب من هذا اللقاء، ويشعر بألم ما، غامض بحيث لا يمكنه شرحه، ولكنه موجود بداخله، ذلك أنه وهو يمسح بنظراته المستكشفة القاعة الصغيرة التي سيلتقي فيها بهذا الجمهور يكتشف بأن أغلبهم غرباء عليه، وأنهم جميعا لم يقرؤوا كتابه الجديد الذي دعي من أجله، وحتى المنشط الذين سيقدمه لا يعرفه تمام المعرفة، وربما لهذا طلب منه أن يدون سيرته المهنية بخط يده، حتى يتمكن من تقديمه على أحسن وجه، ولم يتجرأ الكاتب على سؤال المنشط إن كان قرأ الرواية التي سيقدمها أم لا، ولكنه أحس داخليا فقط بأنه لا يعرف عنها أي شيء، وأنه لا داعي لسؤال قد يثير المنشط، وينغص روحه فيكون تقديمه بغير الصورة الملائمة للقاء كهذا؟؟

يطول انتظار الكاتب لبداية اللقاء، والمنشط يعتذر لأن الأمطار هي التي عطلت بعض الصحافيين، وبعض الكتاب أيضا، وأنه لولا الطقس لكان العدد مضاعفا، طبعا الكاتب يظهر لامبالاة بالعدد، ويردد كلمات من قبيل «هذا غير مهم» لكن في نفسه كان يود لو حظي بعدد أكبر، لو كان هناك بعض ممن يعرفهم، وعلى الأقل ممن قرؤوا نصه الأخير الذي كان قد جهز كلمة بشأنه، ولأنهم غير موجودين شعر بأن ما كتبه لهذا اللقاء لن يكون له أهمية تذكر، وأن عليه أن يغير كل استراتيجيته السابقة، وأن يرتجل، ولا يستعمل اللغة الفصحى إلا في حدود ضيقة، لأنه من الأفضل أن يظهر مثلهم، لا يعيش في برج عاجي، فيكون حديثه أشبه بالتعاويذ التي لا يصل لشرحها حتى أهل الفكر، وأصحاب الحكمة، من جهة أخرى، قال الكاتب في نفسه، أنه على الأقل سيتحدث براحة أمام هؤلاء الذين يظهر أن لا علاقة لهم بالأدب، فلو كان ضمن الحضور نقاد من ذوي الاختصاص لنفروا حتما من يبقى من الجمهور بلغتهم النقدية السوبر علمية والتي لن يفهم فيها أي شخص عادي أي شيء، جهز الكاتب نفسه بعد ذلك للقاء، وقد استمع للتقديم الذي أظهره أنه كاتب غزير الإنتاج، ومهم في الساحة الأدبية، بالرغم من أن ذكر عناوين كتبه منذ بدأ ينشر لم يسعده تمام السعادة فكان يريد في كل لحظة أن يقول ربما تمنيت لو حذفت هذا العنوان، أو ذاك، مما لم يعد الكاتب مقتنعا بها في مشواره الأدبي، ولكن هذه هي سنن اللقاءات، وبسرعة جاء دوره ليتكلم، أسرع الكاتب في تلخيص روايته الجديدة، وظهر عليه الانزعاج لأنه لم يتعود على فعل ذلك، وتذكر أن هذه الرواية بالذات يصعب تلخيصها، لقد كتبها بطريقة معقدة إلى حد ما، ولم يكن هدفه تعقيدها، ولكنها جاءت هكذا بعض الشيء، وتذكر بأن داخل روايته قصة حب، وكاد يحكي عنها لولا أن قصة حبه أيضا بدت له غريبة، وتصور ما سيقوله له جمهوره الغريب أيضا كيف تكتب عن رجل يحب زوجة صديقه المسجون، وبعدها لن يكون بحوزته أي شيء يدافع به عن نفسه، وقرر أن يتحدث عن الثورة التي تبشر بها الرواية، وعندما رفع عينيه للجمهور كي يظنب في شرح فكرة الثورة التي تدافع عنها شخصيات الرواية وجد كاميرا التلفزيون مصوبة نحوه، وخاف أن يكون كلامه مثيرا للسلطات فسكت عن هذا أيضا خشية أن يقص نشاطه، وفكر في والدته التي يسعدها دائما أن ترى ابنها من حين لآخر على شاشة التلفزيون، لحسابات صغيرة تديرها في رأسها، فهي تحب أن يأتي الجيران والأقارب ويقولون لها لقد رأينا ابنك في التلفزيون، وحتى لو لم تره فيكفيه أن الجميع رأوه وعرفوا أنه ابنها، وأحس فقط بأنه من أجل أمه يجب أن يعكس حديثه ويتحدث بلطف عن الأوضاع ببلده، وأن يخون روايته لأنه شعر بفخ كل ذلك، ولم يطل حديث الكاتب كثيرا حتى توقف فجأة، وطلب من الجمهور الحاضر أن يسأله ما يشاء، اغتنم الفرصة ليشرب قليلا من الماء، وليدخن سيجارته الأولى، وسمع أحدهم يسأله عن غلاف روايته «لماذا وضعت صورة امرأة عارية، هل لتبيعها؟» فاندهش الكاتب من سرعة الحكم، وسأل هذا المواطن «ولكنها ليست عارية، ثم إنها لوحة فنية»، وتدخل آخر «هل تقبل أن ندخل هذا الكتاب لبيوتنا؟» فقال الكاتب «نعم»، ولكنه تذكر أنه لم يقدم لعائلته نسخة منها بسبب الغلاف، وأنه شعر بالحرج، ثم جاء سؤال مباغت «وما رأيك في ظاهرة تكسير الطابوهات عند النساء خاصة، واستعمال الجنس؟»، ولم يجد في مثل هذا السؤال أي علاقة بروايته، وفكر في الرد، ثم قال «أين المشكلة؟» فرد آخر «هناك مشكلة طبعا، هذه الأشياء تتنافى مع أخلاق مجتمعنا» فرد الكاتب بعنف «ولماذا لا تقولون هذا مع البارابول، وتقولونه فقط مع الكتب» فسأله آخر «كيف تبرر لنا ذلك؟»

وكان أسوأ شيء أن يبرر الكاتب قناعاته، ولكنه شعر بضرورة ذلك، ورد بصورة مبسطة «الروائي لا يتعامل مع البشر على أساس أنهم ملائكة، لا يخطئون، ولكن على أساس أنهم يخطئون، لهم شهوات، هذه هي حقيقة الإنسان».

واستمر النقاش على هذا الشكل، وعرف الكاتب أنه وقع في ورطة، لكنه قرر الاستمرار، وشعر بأن هؤلاء الناس لا ينظرون له على أساس أنه مبدع، بل مرب ومصلح، ولم يستطع أن يفصل فكرة التربية عن الأدب، ولكنه بقي يصارع طواحين الهواء، حتى قال المنشط، «نشكر الكاتب على حضوره معنا هذه الأمسية» وشكر الكاتب بدوره جمهوره هذا، واعتذر لهم على انفعاله، ثم خرج من القاعة، وبقيت أشياء كثيرة تحرق في نفسه، ولكن لم يعرف ما هي، وكيف يحددها بالضبط، ولكنها كانت توجعه، ولم تذهب عنه حتى وقت متأخر من الليل.

* كاتب من الجزائر